الفصل العاشر

صلات طاقم المكتب السياسي القديم بالنظام

تبيّن أنّ ثقة البارزاني بجلال الطالباني ورفاقه الذين حددت إقامتهم في وادي دوله رَقه لم تكن في محلها. فبرغم النوايا الطيبة التي بدرت من البارزاني تجاههم، فإنّهم لم يكونوا صادقين معه بل على العكس من ذلك إذ تبيّن أنّهم سعوا الى تحقيق صلة بالنظام بهدف الوقيعة والقيام على البارزاني. وهذا ما يفسر بقاء إبراهيم أحمد فى طهران. من المؤسف، وهو ما يجب قوله، ان الدور المزدوج الذي قام به عباس آغا لم يكن دوراً مشرِّفاً. فهو من طرف كان ينبيء البارزاني بوجود علاقة لهؤلاء بالنظام في حين كان من طرف آخر يُدخل في روعهم بأن البارزاني يضمر لهم شراً.

ففي أواخر عام ١٩٦٥ والبارزاني مايزال في پينجوين. بعث عباس آغا ببرقية له ينبئه فيها بأن لجماعة إبراهيم أحمد علاقة ببغداد وأن المصلحة تقضي بنقلهم من دوله رَقه الى منطقة گلاله.

فأجابه البارزاني ببرقية وبنسخة منها الى أخي إدريس، عهد فيها إليه بأنْ يهيّء لهم الإقامة في گلاله. وفي عين الوقت أنذر عباس جماعةَ جلال بنيّة البارزاني وأنّ عليهم إنقاذ أنفسهم لأنّ وصولَهُم الى گلاله يعني نهايَتَهُم. وفي مطلع العام ١٩٦٦ إختار هؤلاء طريق الخيانة وأصبحوا إحدى فصائل مرتزقة الحكومة. وأبى نوري شاويس وعلي عبدالله ونوري أحمد طه مسايرتهم وبقوا مع الثورة.

لم يُعرف عن البارزاني مطلقاً النكوث بعهود يقطعها على نفسه ولم يكن لديه قط أي نية سوءٍ تجاه هؤلاء كما برهنت الأحداث فيما بعد، إلاّ أنّه كان يريد تجنيبهم مغبة

الوقوع في خدمة الأعداء والتنكر لقضية شعبهم. أما إدعاء جلال الطالباني وآخرين غيره بأن نية البارزاني كانت تصفيتهم فهو إدعاء غير صحيح ولا أساس له.

كان هذا سبباً في الفتور الذي حصل بين البارزاني وعباس آغا إلاّ أنّ البارزاني كان من الكاظمين الغيظ فلم يصدر منه ما يدلّ على نفور أو إساءة اليه.

بل واعجب من هذا أن عباس آغا قام بنقل هؤلاء من وادي دوله رَقه الى مناطق الحكومة بعجلاته وبعد ان أمَّنَ وصولهم ووثق بأن يد الثورة ما عادت تطالهم عمّم برقية الى جميع مقرات الپيشمرگه يُعْلمهم فيها بأنّ جماعة المكتب السياسي وأنصارهم قد تركوا محل إقامتهم، ويحثهم على تعقبهم والقبض عليهم!!

فُتحت صفحة كئيبة في تاريخ الشعب الكُردي بولوج (الجاش المثقف) باب الخيانة. وقد مُيّزوا بوصف (جحوش ستة وستين) الذي دخل مصطلحاً ثابتاً في قاموس النضال الكُردي إشارة الى العام ١٩٦٦ الذي إختاروه لإكتساب هذا اللقب. وللتاريخ وحده الحكم على الضرر الذي أحدثه هؤلاء في مسار الثورة الوطنية.

إستخدمتهم السلطة طلائع لقتال إخوانهم ففتكوا وسبوا وأحرقوا وسلبوا ما شاء لهم القتل والحرق والسلب كما أصبحوا جواسيس وعيوناً للجيش العراقي وتواصل ذلك حتى العام ١٩٧٠.

خطّةُ "توكلت على الله"

بموت عبدالسلام عارف وإلتحاق إبراهيم أحمد وزمرته بالنظام وصيرورتهم خدماً وتوابع، خيّل للنظام انّ كفته رجحت على قوى الثورة وان السيطرة على الوضع باتت فى متناول اليد. ومن هذا المنطلق وضعت الخطة التي أتخذ لها الإسم الرمزي (توكلت على الله).

أشرف على وضعها وأحكم صنعها وزير الدفاع الجديد اللواء الركن عبدالعزيز العقيلي هذا الرجل الذي مُليء حقداً على الشعب الكُردي. ان القلم ليعجز عن وصف ما كان يعتمل في نفس هذا الرجل من كراهيةٍ للكُرد وتنكر لحقوق شعبنا والتصدي لنضاله والإمعان في العدوان عليه.

كان قد تقرر البدء بتنفيذ هذه الخطة في الخامس عشر من نيسان ١٩٦٦ إلاّ أنّها أُجِّلَت الى اليوم الثاني من أيار ١٩٦٦ بسبب سقوط الطائرة المروحية التي كانت تقلّ عبدالسلام عارف وأودت بحياته.

كان عبدالسلام عارف قد إستقل الطائرة الى جنوب العراق فسقطت في يوم ١٣ نيسان بسبب عاصفة رملية كما قيل، فإحترق فيها مع عدد من المسؤولين الكبار. وقد حام الشك ومازال حول الحادث أكان بسبب مؤامرة أم هو من تصاريف القدر. وسببت وفاته إستقالة الوزارة ومجيء أخرى جديدة برئاسة عبدالرحمن البزاز ونشب خلاف بين الوزراء والمسؤولين. وحصلت منافسة على منصب رئيس الجمهورية بين البزاز وبين عبدالعزيز العقيلي وأراد العسكريون من قادة الفرق وكبار الضباط في مجلس الدفاع أن يكون العقيلي، في حين أراد المدنيون تنصيب البزاز[١].

كان عبدالرحمن محمد عارف وكيل رئيس أركان الجيش، الأخ الشقيق (لعبدالسلام) في زيارة لموسكو عندما قضى شقيقه نحبه بحادث سقوط الطائرة فعاد مسرعاً الى بغداد حال علمه. وإلتأم مجلس الدفاع والوزراء المدنيون وبدأ الخلاف حول الترشيح، وإذ ذاك نهض العقيد سعيد صليبي آمر موقع بغداد وقال وهو يلوِّح بمسدّسه: "عبدالرحمن عارف رئيس الجمهورية، والمخالف سأنثر دماغه نثراً بهذا المسدس". فقضى بذلك على كل خلاف وقدم العقيلي إستقالته وخرج من الوزارة. وكلف البزاز ثانية بإعادة تشكيل الوزارة وإختار اللواء الركن شاكر محمود شكري خلفاً للعقيلي وزيراً للدفاع.

لم يكن رئيس الجمهورية الجديد كأخيه شرساً مولعاً بالحرب والعراك. بل كان يجنح الى السلم ويتفادى المواجهة إلاّ انه كان ضعيف الإرادة موزّع الرأي لايملك قراراً حاسماً ويصغي الى أقوال غيره. على أنه آثر المفاوضات أولاً وناشد الكُرد في مؤتمر صحفي عقده يوم ١٨ نيسان ١٩٦٦ المحافظة على وحدة البلاد والتعاون مع إخوانهم العرب في تأمين سلامة الوطن ووحدته إلخ... وبادر بإرسال السيد زيد أحمد عثمان في ٢٨ من

(١) سألتُ صالح مهدي عمّاش بعد إتفاق الحادي عشر من آذار هل أن سقوط طائرة عبدالسلام عارف كان نتيجة عمل تخريبي قام به حزب البعث فأنكر ذلك بشدة وقال بأن الطيار الذي كان يقود طائرته وهو الرائد نوري كان من خيرة الضباط البعثيين وقد مات معهم.

نيسان الى البارزاني في گلاله عقب تصريحه بعشرة أيام طالباً الدخول في حوار فرحّب الوالد بالفكرة. إلاّ أن ضباط الجيش الكبار إحتجوا على المبادرة واشتدّ ضغطهم على عبدالرحمن عارف بتنفيذ خطة "توكلت على الله" المؤجلة، سيما بعد الإنقسام الذي حصل وأدى الى إنضمام زمرة المكتب السياسي القديم الى الحكومة وتحوّلهم الى مرتزقة. فأسرع عبدالرحمن بالموافقة على تنفيذ الخطة ونبذ فكرة المفاوضات.

توهّم العسكريّون بأنّ إنضمام هؤلاء المنشقين اليهم سيرجح الكفة ويخل بميزان القوى من ناحية الثورة وأن النصر في أي نزالٍ تالٍ وبمعونة من هؤلاء سيكون مضموناً وبهم سيتم القضاء على الثورة.

مرحلة التنفيذ

كانت الخطة تتألف من عمليّات عسكريّة واسعة النطاق ذات خطورة كبيرة على مستقبل الثورة فعلاً. حيث كانت تستهدف إحتلال مقرات قيادة الثورة في منطقة بالَك المنيعة ومن ثمّ شق كردستان المحررة الى شِقّيْن وقطع التواصل بينهما. وحيث أنّ جبليْ هَندرين وزوزك يشرفان على مدخل طريق هاملتون الذي يشق منطقة بالَك لذلك ركّزت القوات الحكومية هجماتها على هذين الجبليْن. وكانت الخطة تتضمن دوراً جوهرياً معيناً لجماعة إبراهيم أحمد تشرع فيه حال تنفيذ الخطة العسكرية الأصليّة. وكانت على هذا الشكل:

القوات المرصدة للهجوم:

١- اللواء الأول والثاني والثالث والرابع والخامس والرابع عشر والخامس عشر يساندها حوالي خمسة عشر ألفاً من المرتزقة العشائريين.

٢- القاعدتان الجويتان في كركوك والموصل وملاكهما سربان من طائرات الميگ وسربان من طائرات هاوكر هنتر وثماني قاذفات من طراز (إليوشن) وستّ قاذفات بادجر- توپوليف ١٦.

٣- خمس كتائب مدفعية: كتيبة مدفعية عيار ١٢٢ ملم قوس. وكتيبة مدفعية ميدان ١٢٠ ملم. وكتيبة مدفعية جبلية عيار ٢٥ رطل، وكتيبة مدفعية عيار ٧٥ ملم، وكتيبة مدفعية ٢٠ ,٤ ملم. وستة مدافع عيار خمسة خمسة (٥-٥) عقدة.

وقد توفرت لقيادة الثورة المعلومات الدقيقة حول نية السلطة في الهجوم على منطقتي بارزان وبالَك في عين الوقت، ومع هذا فقد ظُنّ ان السلطة عدلت عن التنفيذ بسبب موت عارف ومحاولة إجراء مفاوضات. ولذلك لم تقم الثورة بالإستعدادات الكافية. وعلى سبيل المثال، شارك معظم قادة البيشمرگه في قطاع هَندرين في حفل زواج الملازم رياض، أحد القياديين النشيطين، تاركين مقراتهم القيادية وإنتهز العدو هذه الفرصة الثمينة لإحتلال مواقع هامة في هَندرين.

وفي ليلة ٢-٣ من أيار ١٩٦٦ بدأ الهجوم على الشكل التالي:

١) تقدم اللواء الرابع للسيطرة على جبل هَندرين، يساند تقدمه اللواء الأول بالزحف على بنەكاول ودولي (وادي) آكويان.

٢) تقدم اللواء الثالث نحو (زوزك) بمساندة اللواء الرابع عشر.

٣) شارك معظم (الجاش) في الحملة على (زوزك).

أمّا بقية الألوية فقد وضعت في الإحتياط، إذ كان متوقعاً تواصل المعارك وإحتدامها وإذ ذاك يقتضي إراحة القطعات المهاجمة المنهكة وإستبدالها بالإحتياط وهكذا.

وصبت المدفعية والطائرات حمماً من النيران على البيشمرگه وهم يحتلون مواقعهم الدفاعية في جبهة دولي (وادي) آكويان وزوزك ومُني هجوم العدو بهزيمة شنعاء. أمّا في جبل هَندرين فلم يلقَ الجيش أي مقاومة في أثناء صعوده وإستولى على مواقع هامة قريبة من القمة فإرتفعت معنوياته. وطرأ على الوضع تبدل عظيم لصالح الحكومة، فها هم قد وفّقوا الى تحقيق نصف الخطة لأن أولى صفحة منها كانت السيطرة على كلّ من جبلي هَندرين وزوزك ليعقب ذلك إحتلال كل من دَرگله وبَرسرين حتماً، وفي الصفحة الثانية يتم إحتلال گلاله. وفي الصفحه الثالثة تزحف القوات مجتمعة لإحتلال حاجي عمران.

وعلّق سعيد حمّو آمر اللواء الخامس وقد ملأه النصر زهواً بقوله «إني سأترك لحيتي تنمو ولن أزيلها حتى أبلغ گلاله». هكذا كان قادة الألوية واثقين من سرعة النصر.

في صباح اليوم الثاني من أيار وردت برقية من هيز بالَك تفيد بأن التقدم الكبير الواسع على الجبهة قد بدأ وأن الجيش إحتل جبل هَندرين وقد حلّ الإضطرابُ ودبّ الخلل في التدابير الدفاعية. ما ان اطلع البارزاني على فحوى البرقية حتى أمر أخي

إدريس بالتوجه حالاً الى الجبهة وتفقد الوضع وإنبائه بحقيقة الأمر وزوّده بأمرٍ قاطع لقادة الجبهة بالحيلولة دون أي تقدم آخر للعدوّ بأي ثمن كان.

بوصول إدريس الى الجبهة عُقد إجتماع للقادة كافة وأتخذ القرار بوجوب وقف العدوّ مهما بلغت التضحيات. وبعثوا برقية الى البارزاني يعاهدونه فيها على الثبات والتصميم على دحر العدو وإحباط محاولاته وقالوا أنهم سيكفونه مؤونة قدومه بنفسه وشخصه بما سينجزون. وكان العبء الأعظم في الدفاع عن هَندرين بعهدة وحدات الحزب الشيوعي. وقد شعروا بثقل التبعة وإنتابهم بعض خجلٍ لما إعتبروه موقفاً يدعو الى المحاسبة الضميرية. ولذلك فقد كانوا متلهفين للدخول في معركة موت وحياة إستنقاذاً لما إعتبروه تقاعساً وشاركهم في هذا الشعور بقية البيشمرگه وعقدوا الخناصر على أن لايدعوا العدو يتقدم شبراً واحداً.

بات الجبل قطعة ملتهبة من النيران بسبب القصف بقنابل الحريق والناپالم، وإنفلاقات قذائف المدفعية تغطي الجبل طولاً وعرضاً. كان الثمن باهظاً حقاً إلاّ ان المدافعين لقنوا الجيش والجاش درساً لايُنسى رغم ذلك.

المعركة الكبرى وقعت غداة اليوم الثالث من أيار في زوزك وگرو عمر آغا. وفيه بلغ عدد الطلعات الجوية على هذه الجبهة تسعاً وسبعين وهو عدد قياسيّ في ذلك الحين. كان لابدّ من إحتلال هذين الموقعين بغية إتمام الصفحة الأولى من الخطة حسبما ورد ذكره. ففي اليوم السادس نشبت معركة كبرى بقصد إحتلال زوزك وگرو عمر آغا. إذ شرع لواءان بالتقدم بإسناد القصف المدفعي الأرضي والجوّي ووفّقا الى إحتلال مواقع قليلة من الهدفين إلاّ انها كانت هامة وخطيرة. فأرسل إدريس برقية الى الوالد مبيّناً له الموقف فى هذين الموقعين فخفَّ البارزاني الى الجبهة مسرعاً.

أودّ الاشارة هنا الى أن (مام وسو دزَيي) أقبل مع قوّة في أثناء ذلك لتعزيز قوات بالَك. وكثيراً ما حدثني إدريس حول ما جرى آنذاك. يقول انه وبسبب حجم الخسائر الكبيرة التي مني بها البيشمرگه أضطروا الى إخلاء (زوزك) وفي هذه اللحظة بالذات وصلت قوات (مام وسو) وانضمت الى المدافعين وشنّت هجوماً مقابلاً تمكنت به من إستعادة الجبل بأسره وطرد العدو منه. يقول إدريس لو طلب مني مام وسو أغلى ما عندي وهو روحي لما ضننتها عليه بعد هذه المأثرة العظيمة[٢].

٢- راجع رسالتي الأخ إدريس البارزاني المؤرختين في ١٩٦٦/٥/٧ و١٩٦٦/٥-١٢/١١ في الملحق (٢٤) قسم الملاحق.

رغم ما ظفر به العدوّ من مواقع فى أوّل الهجوم. إلاّ ان الخسائر العظيمة التي مُني بهما اللواءان اللذان قاما بالهجوم أرغمتهما على الخروج من المعركة.

في تلك الفترة كان المدافعون عن هَندرين يعدون الساعات والدقائق للشروع في الهجوم المقابل المقرر وهم على أتم الإستعداد له.

وأما في دولي (وادي) آكويان فقد صمدت قوات الپيشمرگه أمام هجمات الجيش وأبدى كلٌّ من ملا أمين وحَمه زياد بسالة فائقة في قيادة هذه الجبهة.

في يوم ١١ أيار إجتمع البارزاني بالرؤساء والقادة في الجبهة لدراسة الموقف، بدا الجميع مستبشرين واثقين بالنصر وكانت ساعة الصفر الرابعة من بعد ظهر اليوم التالي على أن يتولى قيادة الهجوم: كمال نعمان وملازم خدر وفاخر ميرگەسوري وعزت سليمان بگ.

مُهّد للهجوم بقذائف مدافع الهاون من عيار ٨١ ملم و١٢٠ ملم ومدافع هاوتَزر جبلية عيار ٢٥ رطل. ثم شنّ هؤلاء هجوماً واسعاً على العدوّ وفي خلال نصف الساعة الأولى لاح النصر للپيشمرگه واضحاً جلياً... سقطت أولى القذائف في وسط مقرّ آمر السرية المتقدمة وقتل آمرها[٣] وبتمام الساعة تم إحتلال مقر فوجين من اللواء الرابع مع مقره الأمامي. وهرب العدو تاركاً وراءه من الغنائم بطاريتي مدفعية من عيار ٧٥ ملم و٢٠,٤ ملم وإنهارت معنويات أفراد الجيش ودبّ الذعر في صفوفهم وأطلقوا سيقانهم للريح. وفي تلك الأثناء إلتقط إنصاتنا مكالمة لاسلكية بين قائد الفرقة الأولى وآمر اللواء الرابع هذا نصها:

"من قائد الفرقة: ما هو الموقف؟"

آمر اللواء الرابع: "الموقف سيء جداً. لكنّي لاأملك تفاصيل."

من قائد الفرقة: "عالجوا الموقف فوراً. إستعينوا بقوات الإحتياط وبقصف جوّي. أنبئونا بسرعة."

آمر اللواء الرابع: "طيّب."

٣- وقع بيدنا دفتر يوميات هذا الضابط وكان برتبة نقيب ولا أتذكر إسمه، مما جلب إنتباهنا ما سجّله عن معركة هندرين في أيامها الأولى فقد ختم سرده لتقدم قواته بهذه العبارة (اللهم أفرجها علينا وعلى هؤلاء العصاة المساكين)!

يسأل آمرُ اللواء الرابع المقدمَ إبراهيم عن الموقف. فيجيب المقدمُ وهو آمر أحد أفواج اللواء:

"سيدي، الموقف سيء الى أقصى حد. المعنويات منهارة. فقدنا السيطرة تماماً وراح كل جندي يبغي النجاة لنفسه. لم يعد لأوامري وحثيّ بالصمود أذنٌ تسمع."

آمر اللواء الرابع: "وجهوا نيران مدافع ٧٥ ملم و ٢٠,٤ ملم اليهم."

آمر الفوج: "سيدي قبل أكثر من نصف ساعة وقعت هذه المدفعية بيد العصاة وهم يستخدمونها ضدنا."

آمر اللواء الرابع: "أصمدوا في مواقعكم سأبعث بقوات الإحتياط وطائرات هاوكر هنتر ومدفعية (خمسة خسمة)."

آمر الفوج: "والله لا فائدة قط، حتى ولو إستخدمتم قنابل نووية. إحتل العصاة كل المواقع ولم يبق بيدنا شيء. وقد إقترب الآن الهجوم من مقرّي."

آمر اللواء الرابع: "حسناً ماذا لديك من معلومات عن الأفواج الأخرى."

آمر الفوج: "سيدي، منذ مدة إنقطع الإتصال بيننا ولاعلم لي بأيّ شيء عنهم."

آمر اللواء الرابع: "مقدم إبراهيم. اثبت في موقعك إنك من الأبطال. ستأتيك النجدة فوراً."

آمر الفوج: "سيدي أؤكدّ لك لا فائدة من التعزيزات، ها ان الهجوم قد وصل مقرّي ولاأستطيع بعد الآن الإتصال بك."

ثم انقطعت المكالمة فجأة وتبيّن أنه نجا بجلده ولم يؤسر.

دُمِّر اللواء الرابع في هذا الهجوم وهو أفضل الألوية الجبلية في الجيش العراقي وأحسنهم تدريباً وعدة وقد عرف قائده العقيد الركن خالد حسن فريد بأنه من أحسن ضباط الجيش العراقي. ثم علمنا أنه ترك الخدمة في الجيش وانتقل الى چيكوسلوڤاكيا ليعيش فيها.

في يوم ١٢ أيار سطَّر الپيشمرگه ملحمة من أروع ملاحم الشعب الكُردي في كلّ تاريخه. كان نموذجاً مثالياً قل نظيره لثمرة التعاون الوثيق والإنسجام الكامل بين

قوات الحزبين الديمقراطي الكُردستاني والشيوعي العراقي. نموذجاً لما كان يجب أن تكون عليه الأخوة الصادقة بين الكُرد والعرب. فقد كان هناك عدد من الضباط والمقاتلين الذين شاركوا في القتال عرباً دافعوا عن كردستان مع إخوانهم الكُرد وكان لهم النصيب المشرف في تحرير المنطقة. نخصّ منهم بالذكر الرائد كمال نعمان والملازم نعمان علوان المعروف في الثورة بـ الملازم خدر.

وأستشهد في هذه المعركة أربعة پيشمرگه وجرح عدد آخر. إن ملحمة (هَندرين) قلبت الوضع العسكري والسياسي رأساً على عقبٍ وطأطأ الفريق الحاقد على الكُرد في السلطة الرؤوس خجلاً. ولم تعد تسمع له كلمة وكان لهذا النصر المؤزر جانبه الفكه: فمن الغنائم التي وقعت بيد الپيشمرگه محتويات حانوت اللواء الرابع المكتظ بأنواع الحاجات والكماليات ومن بينها قناني مشروبات كحولية من ويسكي وما أشبه. توهم العديد من المقاتلين بأنها مشروبات مرطِّبة (شربت) وما حصل هو هذا:

> جاءنا ليلاً رسولٌ من القوات المتقدمة ينبأ مفاده أن معظم الپيشمرگه قد سقطوا مرضى وبعضهم أدركه إغماء وهم يطلبون قوة بديلة خشية مداهمة العدو بهجوم مباغت والپيشمرگه غير مستعدين وهم في هذه الحال.
>
> وكان بتصرفنا قوة إحتياطية مناوبة فبعثنا بها.
>
> لم يكن واحدٌ من الپيشمرگه قد ذاق الخمر في حياته لذلك نالت منهم جرعات صغيرة فصرعتهم.

كانت مدفعية الهاون التي إستخدمناها عاملاً حيوياً من عوامل النصر فضلاً عن الموقف البطولي لقادة الپيشمرگه العرب والكُرد معاً.

> وبلغت خسائر العدو الإجمالية في الأرواح بحدود ٤٠٠ قتيل و٦٠٠ جريح. ومن الغنائم أحصينا ٤ مدافع عيار ٧٥ ملم جبلي، و٤ مدافع هاون ٢٠ , ٤، و١٠ مدافع هاون ٣ , ٢ عقدة، و٦٠٠ قطعة سلاح خفيف، و١٥ جهاز لاسلكي وكميات هائلة من العتاد.

أدرك العدو أن إحتلال گلاله وهو في خطته العامة نهاية المرحلة الأولى، أمرٌ بعيدُ المنال وخيَّم نوع من اليأس على العدو وصار قصارى همه الإحتفاظ بالمواقع التي بدأ

منها هجماته. اذ كانوا يخشون ان يتواصل هجوم البيشمركه على تلك المواقع نفسها. بعدها بدا وكأنهم إستفاقوا من تلك الصدمة الكبرى فعاودوا محاولاتهم بشكل محدود وكان آخرها التعرض باللواء الخامس لمواقعنا على وجه الخصوص في زوزك وگرو عمرآغا إلاّ أنها باءت بالفشل أيضاً. وأصبح واضحاً لدى القيادة العامة ان قواتها عاجزة عن تحقيق أي فوزٍ في أي جبهة من الجبهات وعادت سيطرة البيشمركه الكاملة على الجبهة[٤].

لم يعد للعدو بعد هذا من وسيلة أخرى غير تشديد ومضاعفة القصف الجوي على القرى. إلاّ أنّ الخسائر كانت طفيفة فقد تعوَّد الأهالي الإستتار بترك القرى صباحاً والإنتشار في حُزون الجبال والوديان ثم العودة ليلاً. تمّ في أثناء ذلك إسقاط قاذفة قنابل من طراز إليوشن ٢٨ سقطت بالقرب من قرية دَرَبَند بين گلاله وحاجي عمران ولم ينجُ فرد من طاقمها.

دور جاش الـ(٦٦) في خطة توكلت على الله

في بداية الأمر لم يكن دور هؤلاء واسهامهم في الخطة واضحاً ولا أين كانت مراكزهم مثلما كانت مواقع الجيش والجاش القديم الآخرين، بسبب انتشارهم في مناطق الثورة. ففي الوقت الذي كان الهجوم الحكومي مركزاً على منطقة بالَك شرعت قوات جاش الـ٦٦ المعسكرة في مواقع أخرى بأعمال تخريب عديدة ذات خطورة بالغة.

كما ذكرنا أن كمال مفتي عُيّن آمراً لهيز قَرَداغ ومحمد أمين فرج آمراً لهيز كاوه في پشدَر ومما أقدما عليه أثناء ذلك إلقاء القبض على عدد من أعضاء الحزب والعسكريين الموالين للثورة وبسط السيطرة على المنطقتين المذكورتين ثم شاءت عناية الله أن يتحقق لنا النصر في كل من زوزك ثم هَندرين فكان ذلك عاملاً لإحتواء الأعمال التخريبية التي شرع فيها المذكوران.

كانت قوة مام وسو في منطقة پشدَر القوة الرئيسة المعتمد عليها وقد ذكرنا انها

٤- تشاء العناية الربانية ان أُرزق يوم الموقعة الكبرى (١٢-١٣) أيار بأول مولود وهو أنثى وكان في نيّتي ان أطلق إسم (هَندرين) على المولود لو كان ذكراً.

انجدت قوات بالَك وقد اتاح غيابه الفرصة لمحمد امين فرج ليسدد طعنة الى ظهر الثورة. كما ورد نبأ يفيد بأن كمال مفتي في هيز قَرَداغ قد ألقى القبض على الموالين فيها وهم مسؤول فرع الحزب الرابع عمر شريف وملكو زيرو وسيامند بارزاني وهم من الرجال البارزين المشهود لهم بالإخلاص والثبات ومن رفاق البارزاني في المنفى وقضى على حياتهم ملقياً بالتهمة على حاجي إبراهيم چَرمَگا ومواخذاً ابن اخيه إسماعيل عُزيري چَرمَگا. بالتخلص من هذه العناصر أصبح (كمال) حراً فى التصرف بالشكل الذي يحلو له وأتيح له مجال السيطرة على منطقة قَرَداغ لأيام معدودات وبعملية غادرة قام بإغتيال آمر السرية البطل فتاح فرج.

في عين الوقت وردت الى هذين - تعزيزات بقيادة كل من جلال الطالباني وعلي عسكري وعمر مصطفى دبابه وحلمي علي شريف كلٌّ على رأس قوة من اتباعهم وانضموا اليهما، إلاّ أن أيام فرحتهم بما اعتبروه فوزاً لم تدم طويلاً.

من پشدَر وردنا نبأ إستشهاد الكادر العسكري إبراهيم أفندي البطل الذي كانت بسالته نموذجاً يحتذى حيث سقط جريحاً وهو يقاوم هؤلاء كما وردتنا أنباء أخرى مماثلة. ولما لم يعد هناك ما يخشى على جبهة بالك والمنطقة كما أسلفت، فقد وجّهنا إهتمامنا الى معالجة إستفحال أمر جاش الستة والستين في منطقتي پشدَر وقَرَداغ. وتمّ حشد القوة التي كانت تحت تصرف الثورة في تلك المناطق. ووصلت قوات هيز دَشتي هَولير وهيز سَفين لتعزيز تلك القوات في اليوم الأول من حزيران ١٩٦٦، ولم يُبذل جهدٌ كبير في تطهير المنطقتين من عناصر جاش ٦٦ وعناصر من الجاش القديم. تم تشتيت شملهم وأصبحوا فلولاً مبعثرة لاذ معظمها بحمى الجيش العراقي ومعسكراته ومعهم عدد من آغوات الميراودَلي منهم علي عباس آغا الذي اغتال الشهيد إبراهيم افندي بيده وقد لقي مصرعه في العام ١٩٦٩ على يد رجال الثورة.

وبهذا عادت منطقتا پشدَر ومَركَه الى سيطرة الثورة. ورغم أنّ هؤلاء بذلوا مساعي محمومة لإستمالة أهالي المنطقة الى صفّهم وباءت تلك المساعي كلُّها بالفشل.

في منطقة قَرَداغ أوكلَ أمرُ تطهير المنطقة من بقية الجاش الجديد بهيز رزگاري وهيز خَبات مع البتاليون الموالي الباقي هناك بإمرة حميد بَرواري وسرية أخرى لم تلتحق بالخونة. واعيدت السيطرة الكاملة على گرميان وقَرَداغ في ظرف أسبوع واحدٍ. وحاولت السلطة ملء الفراغ الذي احدثته الهزيمة وحماية هؤلاء ايضاً فعمدت قيادة الفرقة

الخامسة التي كانت بقيادة اللواء الركن محمد نوري خليل الى فتح مقر لجاش ٦٦ في كلّ من بَكرَجُو وكَلار. وغرق هؤلاء في مستنقع الخيانة واصبحوا بمرور الأيام مجرد جواسيس وعملاء للجيش يتسقطون أخبار الثورة ويجمعون له المعلومات عن تحركات قواتها، كما استُخدموا كأجهزة إرهابية تتصيد الموالين وتغتالهم وتشعل النار في القرى والمنازل وتلاحق الابرياء ولم يتعففوا عن الإتيان بكل منكر.

كان لديهم نفر قليل من المؤيدين في بادينان. وفي العمادية عميلهم (صدقي حاجي شعبان) وفي جهات دهوك عرف رئيسان لها هما (تيلي گردي) و(رشيد سعيد آغا دوسكي). لم يصمد هؤلاء أمام قوات الثورة ومالبثوا ان تركوا مناطقهم ولاذوا بحمى الحكومة في مدينة دهوك.

مع نهاية حزيران كانت المناطق كلها قد خلت من هؤلاء الخونة. والحق يقال إن الأعمال الشائنة التي اقدم عليها الجاش الجديد جعلت جماعات الجاش القديم تبدو ملائكة أطهاراً بالمقارنة معهم.

وصل بهم الأمر الى ان يصبحوا وكلاء للجيش والسلطة وعيوناً لهما على الشعب الكُردي وخولوا سلطة مطلقة في القبض والإعتقال وكانت لهم سجونهم يزجون فيها الابرياء لاسيّما اقرباء البيشمرگه ليسوموهم سوء العذاب وبين هؤلاء الجلادين عدد كبير من أعضاء الحزب القدماء الذين غرّ بهم إبراهيم أحمد وزمرته. أحدث هذا شرخاً عظيماً في بناء الثورة وجرحاً عميقاً في كيان الحركة التحررية. وأثّر تأثيراً كبيراً على مستقبل الشعب الكُردي واضرّ ضرراً بليغاً بمصالحه كما تبين ذلك في مابعد.

تحدث العميد إسماعيل تايه النعيمي قائد الفرقة الثانية في مذكراته المطبوعة عام ١٩٨٥ عن هؤلاء وعن المهام التي أنيطت بهم وكيف كانوا يوضعون في طليعة الوحدات العسكرية المتقدمة ليحرقوا القرى ويقبضوا على كل من يجدونه في طريقهم من الأهالي العزل وكيف كانت القوة الجوية تستعين بأفراد منهم فى حملاتها على المناطق المحررة ليعيّنوا لها أماكن للقصف مؤثرة وفعالة. وإليك هذه الفقرة منها:

"قال عمر دبابه وعلي العسكري للطيار أحمد لاوي إن أماكن العصاة لاتضربها الطائرات، فقلت لهما (القائل إسماعيل تايه النعيمي) لماذا لايركب أحدكم مع أحمد لاوي ليدلّه على أماكن إستراحة العصاة؟ فقال

عمر دبابه وعلي العسكري إننا على إستعداد للقيام بذلك. واستخدم أحمد لاوي طائرة ذات مقعدين وأخذ معه عمر دبابه وعلي العسكري بالتناوب للدلالة، وقد إستطاع العقيد الطيار أحمد لاوي أن يضرب أماكن إستراحة العصاة قرب عيون الماء والكَپرات فكبّدت هذه الضربات العصاة خسائر فادحة"[٥].

بيان التاسع والعشرين من حزيران[٦]

فقدت الحكومة كلّ أملٍ في إحراز أي نصر عسكري واستنفدت آخر حيلها فلا جيشها نفع ولا جاشها القديم وجاشها الحديث أفاد. وعادت الى أسلوبها القديم المعتاد لتكسب بالحوار والمفاوضات ما لم تستطع نيله بقوة السلاح ولاسيّما بعد فشل خطة

٥- الص ١١٠-١١١: تجربتي في القيادة [سلسلة بحوث عسكرية رقم (٤٨) الطبعة الثانية- بغداد ١٩٨٥ الفريق الركن إسماعيل تايه النعيمي] وجاء في ص ٨٧ من الكتاب عينه حول عملية فتح طريق سَنْگسَر وقلعه دزه:

"وبعد تأمين كافة متطلبات نجاح المعركة، وكان التنفيذ ليلة ١٤\١٥ نيسان ١٩٦٩ من قبل جماعة الموالين (أي جاش ٦٦) لإحتلال الراقم ٣٥٤٠ تركمان باغ وتأسيس قاعدة أمينة فيه".

وفي عين الصحيفة حول المعركة بالذات:

"كان معي عمر دبابه مع الجهاز اللاسلكي الذي يرتبط به مع الموالين وهم ثلاثة أرتال: رتل علي العسكري، ورتل جلال الطالباني، ورتل جنكي الطالباني. وكان هدفهم إحتلال الراقم ٣٥٤٠ وقرية تركمان باغ ويتحركوا ليلاً لتنفيذ الواجب. لقد تمكن الموالون من إحتلال الراقم... بعد أن ساندتهم القوة الجوية مساندة فعالة... وعند وصولي الى مضيق خالخالان أخبرني عمر دبابه أن العصاة قاموا بهجوم مقابل على الراقم ٣٥٤٠ وإنسحب الموالون منه نظراً لتأخر المدفعية في تأمين الإسناد اللازم لهم.

وورد في ص ٨١:

"طلبتُ (والقول للمؤلف) من عمر دبابه أن يحرك الموالين في الجناح الأيمن لتطويق العصاة..." وفي ص ٨٣:"كان مقر الفرقة يتحرك ليلاً وكان معي عمر دبابه، وقد قال لي إن العصاة يمكن أن ينصبوا كميناً في مفرق طوبزاوه ولديهم مدفع هاون". وفي الص ٨٥-٨٦ يؤكد هذا الضابط على أهمية معونة جاش الـ٦٦ قائلاً أن وجود ممثل الموالين في مقر الفرقة المتقدم سهّل حلّ كثير من المعضلات وتوجيه قواتهم الى الأهداف المطلوبة بالوقت المناسب... (مؤكداً) ضرورة وجود عناصر إرتباط من الجيش مع الموالين لإعطاء مواقف واضحة ودقيقة للقائد الذي يدير العملية.

وجاء في ص ١٠١:

"زرتُ رتل (جلال الطالباني) ورتل (علي العسكري) ورتل (عمر دبابه) ووزعتُ على آمري هذه الأرتال وبعض المقاتلين شعار (نمر) الفرقة الثانية". وأشاد المؤلف في ص ١٠٣ بموقف جاش الـ٦٦ بقوله "كان للتعاون الوثيق بين القطعات والموالين والثقة المتبادلة أبلغ الأثر... والمعلومات التي كانت تصل الى القطعات بواسطة تنظيمات حزب البعث وجماعة جلال الطالباني كانت دقيقة وساعدت كثيراً..."

٦- راجع نص البيان في الملحق رقم (٢٥) قسم الملاحق.

(توكلت على الله).

أرسلت السلطة بداية وفداً من بغداد يتألف من شخصيات كردية[٧]. وصل الوفد گلاله في يوم ١٥ حزيران ١٩٦٦ تمهيداً لمجيء وفد شعبي كبير يتألف من العرب والكُرد والتركمان. ووافقت قيادة الثورة على مجيء هذا الوفد فكان وصوله الى گلاله في الثامن عشر منه[٨].

هؤلاء خُوِّلوا بإجراء المفاوضات من قِبَل رئيس الجمهورية وقالوا ان الحكومة على إستعداد للمداولة والوصول الى حل سلمي للمشكلة الكُردية. واقترحوا ذهاب وفدٍ كردي الى بغداد بالمقابل فوافقت قيادة الثورة على ذلك.

وفي يوم ٢٢ منه توجه هذا الوفد الى العاصمة ومكث هناك ثلاثة أيام ثم عاد أعضاؤه حاملين وجهات نظر رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء. وقد نوّهوا بأنّ هذين المسؤولين كانا شديدي الرغبة في الوصول الى حلّ وإتفاق وانهما جديان فى مقصدهما. ووضع الوفد الكُردي أمامهما شروطاً منها الشرط الاساسي الذي يقضي بنزع سلاح جاش ٦٦ وقالوا ان السلطة قبلت بهذا الشرط.

في ٢٩ حزيران ١٩٦٦ وقّع بيان الإتفاق، وأذاع البزاز بنفسه البيان الذي عرف في حينه ببيان التاسع والعشرين من حزيران. وتوقف القتال مع الجيش.

إلاّ أن القتال تواصل مع جحوش ٦٦ ولم يتوقف ولم تنزع الحكومة سلاحهم بل زوّدتهم بالمزيد وفسحت لهم مجالاً أكثر للتخريب والعبث بالأمن ومحاربة البارتي والثورة.

وشكّلت لجنة على ارفع مستوى لتطبيق هذا البيان. مكونة من الرئيس اللواء الركن كمال مصطفى علمدار والعميد الركن عبدالمنعم المصرف عن الحكومة، ونافذ جلال ومحسن دزَيي عن الثورة. وقد سمعتُ البارزاني يقول: "بيان التاسع والعشرين هو بيان

٧- تألّف من: العميد المتقاعد مجيد علي وأحمد كمال واكرم جاف وزيد أحمد عثمان.

٨- تألف من: اللواء المتقاعد إبراهيم الراوي من عسكريي العهد الملكي، والدكتور الطبيب كاظم شبّر، والسفير والوزير السابق علي حيدر سليمان، والمهندس والوزير فيما بعد إحسان شيرزاد، ورؤوف أحمد، والدكتور محمد صالح محمود الوزير في عهد عبدالكريم قاسم، والعالم الديني نورالدين الواعظ، والوزير حسن عبدالرحمن.

هزيل الا أننا قبلناه إحتراماً لوفدنا وهو هدنة في الحقيقة وليس إتفاقاً"، ولم يقع منه موقع رضا لكنه وكعادته دوماً كان رفيقاً بأعوانه ومساعديه يكره توجيه كلمة لوم أو عتاب اليهم أو وضعهم موضع خجل وإحراج[٩].

في الثلاثين منه، ووفدنا مازال في بغداد قام العميد الطيار عارف عبدالرزاق مع فئة من الضباط القوميين بمحاولة إنقلابية فاشلة ثانية وألقي القبض على القائمين بها. يظهر ان عارف هذا كان سيء الحظ في التخطيط للإنقلابات المتتالية التي كانت تبوء بالفشل.

اقدمت هذه اللجنة التي عرفت (باللجنة العليا لشؤون الشمال) على خطوات ايجابية لتطبيق البيان كإطلاق سراح الموقوفين والمحتجزين وإعادة فئة كبيرة من المفصولين الى وظائفهم. إلاّ أنّ سلاح جاش ٦٦ لم ينزع منهم وإنما زُوّدوا بالمزيد منه كما ذكرنا.

لم يمرّ وقت طويل حتى أُجبر عبدالرحمن البزاز على الاستقالة وشكل العميد الركن ناجي طالب الوزارة الجديدة وضمت وزارته عضواً كردياً واحداً هو (أحمد كمال قادر) بعنوان وزير دولة لشؤون إعمار الشمال. وبمجيئه تمّ تجميد بيان التاسع والعشرين من حزيران. ومما يذكر في هذا الصدد أن نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية في هذه الحكومة وهو العقيد المهندس رجب عبدالمجيد كان من العناصر النظيفة. وقد زار البارزاني أيام ذاك ولقي حفاوة منه وهو من الهيئة العليا للضباط الذين قاموا بثورة الرابع عشر من تموز وكان من العسكريين الطيبين الذين استهدفهم عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف بالاهانة بإسناد منصب ثانوي له في حكومة الرابع عشر من تموز فلم يشارك فى أي مسؤولية فى عهدهما وآثر الإحالة على التقاعد والانزواء في بيته.

وقد كان ثمّ تقارب بين ناجي طالب وهو قومي ناصريّ وبين جاش ٦٦، فتسابقوا للتظاهر بالعروبة والعمل لها أكثر من القوميين العرب أنفسهم فى حين لم تمرّ عليهم سنة كاملة منذ رجوعهم من حماية شاه إيران عدو القومية العربية المُمَثَّلة إذ ذاك في عبدالناصر.

٩- كان الوفد يتألف من نافذ جلال وصالح يوسفي وحبيب محمد كريم وعلي عبدالله.

الأوضاع بين بيان ٢٩ حزيران ١٩٦٦
وبين إنقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨

توقف القتال تماماً بعد فشل خطة (توكلت على الله) وصدور بيان حزيران إلاّ أنّ الوضع تميّز حتى إنقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ بظهور واضح لجاش ١٩٦٦ على الساحة. فقد لقي هؤلاء حظوة من الحكومات المتعاقبة وتعاظم ضررهم لاسيّما في المدن حيث أطلقت لهم الحرية الكاملة وفتحت لهم المقرات. وإنصبّت إعتداءاتهم بصورة خاصة على الأعضاء الحزبيين واقرباء البيشمرگه أو ذويهم وكما بيَّنا آنفاً فقد اصبحوا فعلاً عيوناً وجواسيس للسلطات المحلية يقومون بعين المهام التي يقوم بها وكلاء المخابرات والأمن واطلقت أياديهم حرة في هذا المجال. وإمتدت يدهم الآثمة الى إغتيال أعضاء الحزب الناشطين في المدن.

وفي الرّيف كانت عصابات منهم تخرج من معسكرات الجيش لتُغير على القرى المجاورة فتنهب وتسلب وتحرق وتقتل وتعتقل ثم تعود لائذة بحمى السلطة. كانوا في الواقع مصدر إزعاج للثورة وإستفاد النظام من هذا كثيراً.

وبحمى السلطة صارت هذه الشراذم المغيرة تقوم بالعمل الذي كان يأباه الجيش والجاش القديم معاً. ونشاطهم هذا شجّع الحكومة على التنكر للتعهدات التي قطعتها على نفسها في بيان حزيران وكانوا سبباً في تقاعسها عن تطبيقه، ولقوا حظوة كبيرة بعد ان اظهروا تعاطفهم الشديد مع العناصر القومية العربية في العراق التي تروج في الظاهر لأفكار القومية الناصرية في الوحدة العربية.

كانوا يوحون للسلطة بأنّ البارزاني يقف موقفاً معادياً للأماني العربية في الوحدة ويعارض التقارب العربي الكُردي لانه حليف إيران وصديق حلف السنتو.

من المؤسف ان يغدو هؤلاء عقبة كأداء في سبيل إنطلاقة الثورة الى رحاب التحرر القومي الكُردي[١٠].

١٠- تطرق التقرير السياسي الذي ألقاه أمين سر الحزب العام في المؤتمر السابع بتفصيل الى الدور المشين الذي إضطلعت به هذه الزمرة. أنظر الملحق رقم (٢٦) قسم الملاحق.

رئيس الجمهورية في زيارة للبارزاني

قام وزير الدفاع شاكر محمود شكري يوم ٢ تشرين الأول ١٩٦٦ بزيارة البارزاني في گلاله ليؤكد له إلتزام الحكومة بتطبيق بيان حزيران مبيّناً ضرورة لقاءٍ بينه وبين رئيس الجمهورية لبحث جميع القضايا المعلقة والبت فيها ولاسيّما قضية نزع سلاح (جاش ٦٦) وبذل مجهوداً كبيراً لإقناع البارزاني بلقاء يتم في أربيل أو سپيلك أو رواندز. قائلاً ليس من اللائق ان يقطع رئيس الجمهورية الطريق كلّه لمقابلته. إلاّ أنّ البارزاني اعتذر ولم يوافق. وأخيراً أُتفق على أنْ يكون محلُّ الإجتماع بين بَرزيوه وديانا حيث يُنصب سُرادق وهكذا كان، واجتمع البارزاني يوم ٢٨ تشرين الأول ١٩٦٦ بعبدالرحمن عارف هناك.

رغم إصابة البارزاني في الليلة التي سبقت المقابلة بتشنجٍ وإعتلال في صحته، فقد تحامل على نفسه وخرج لإستقباله وهو مريض خشية إنطلاق ألسنة السوء بمختلف التفاسير لغيابه أو تلكؤه. وقد بدا البارزاني في الصور الملتقطة وعليه علائم المرض والإعياء الشديدين.

بذل عبدالرحمن عارف من الوعود ما شاء له البذل إلاّ أنّه لم يحقق أياً منها، ولا ندري أكان ذلك عن سبق تصميم وقصدٍ منه أم أنّ حاشيته وأعوانه كانوا السبب في تلكؤه والعدول عن البرّ بوعوده؟

المؤتمر السابع

المؤتمر السابع يعتبر مرحلة انتقالية حساسة في تاريخ الحزب والثورة. ويمكن إعتباره من المؤتمرات الناجحة جداً. انعقد في گلاله في ١٥ تشرين الثاني ١٩٦٦ ودام خمسة أيام وحضره (٢٤٥) مندوباً توصلوا الى بضعة قرارات هامة من ناحية التنظيم والإدارة للمناطق المحررة تضمنت خطواتٍ إصلاحية إجتماعية رائعة منها تحريم الزواج غير الرضائي، أو مبادلة الكبير بالصغير. واتخذت قرارات في المجال الصحي والتربوي بتوزيع كوادر من الإختصاصيين في هذين المجالين (موظفين صحيين ومعلمين) على القرى والمجمعات الريفية كافة وبحدود الإمكان، وفتح دورات لإعداد هذه الكوادر.

وكرّست رئاسة البارزاني وأعيد الإعتبار لكل من نوري صديق شاويس وعلي عبدالله وضُمّا الى اللجنة المركزية الجديدة المنبثقة عن المؤتمر ثم أُنتُخبا عضوين في المكتب السياسي. وأُنتخب محمد محمود عبدالرحمن (سامي) أيضاً لعضوية اللجنة المركزية ثم لعضوية المكتب السياسي.

وقرر المؤتمر ان يقوم الرئيس بتوجيه مذكرة لرئاسة الجمهورية ورئاسة مجلس الوزراء، والمطالبة بتطبيق بيان حزيران ١٩٦٦[١١] كما إتخذ المؤتمر قراراتٍ ناجحةً تتعلق بالمؤسسات والأجهزة الإدارية والعسكرية للحزب وسنَّ دستوراً لمجلس قيادة الثورة[١٢] وتم توزيع المهام والواجبات والأعمال[١٣].

من ناحية أخرى أولت الثورة إهتماماً خاصاً بشؤون التربية والتعليم والصحة ففتحت دورات تربوية وصحية بأقصى ما ساعدتها كوادرها. وتم رغم صعوبة الظروف تزويد أكثر من ثلاثمائة مدرسة إبتدائية بالمعلمين وأمّنت بذلك إستمرار الدوام وعدم توقف الدراسة كما خرّجت دورات للموظفين الصحيين والممرضين يُعدّون بالعشرات ووزّعوا على القرى.

جهاز الپاراستن (إستخبارات الثورة)

في أيار ١٩٦٦ أنشيء مقر البارزاني، وكان أخي إدريس مسؤولاً عنه ، ورتّب أن أكون معاوناً له ودام هذا الوضع حتى العام ١٩٦٧ عندما أدركت الحاجة الى إستحداث جهاز أمن وإستخبارات للثورة أنيط بي أمر تشكيله. كانت إستعانتي الأولى بكل من شكيب عقراوي ومحمد عزيز قادر وفرنسو حريري وفاخر ميرگەسوري وغيرهم من الإخوان. ويضيق بي المجال هنا عن وصف ما واجهنا من مصاعب وعراقيل في إقامة

١١- راجع نص المذكرة في الملحق رقم (٢٧) قسم الملاحق.
١٢- راجع نص الدستور في الملحق رقم (١٩) قسم الملاحق.
١٣- هؤلاء هم الأعضاء المنتخبون للجنة المركزية: السكرتير (امين السر العام للحزب): حبيب محمد كريم - امين سر المكتب التنفيذي: الدكتور محمود عثمان - التنظيم الحزبي: نوري صديق شاويس - الشؤون المالية: علي عبدالله - المسؤولية العدلية: محسن دزَبي - شؤون الإعلام: صالح يوسفي - لجنة السلام العليا: برئاسة نافذ جلال حَويزي - المسؤولية العسكرية: إدريس البارزاني ومحمد محمود عبدالرحمن (سامي). شؤون الإستخبارات والأمن: مسعود البارزاني وشكيب عقراوي - الشؤون الإدارية: شفيق آغا العلاقات الخارجية: لجنة مؤلفة من: حبيب محمد كريم ومحمود عثمان وإدريس البارزاني ومحمد محمود عبدالرحمن ومسعود البارزاني.

هذا الجهاز الحسّاس والذي لم يعد بالإمكان الإستغناء عن مثله. وكانت مرحلة الإعداد شاقة عسيرة، وربما كان أهون ما فيها هو إنتقاء الوكلاء العاملين فيه إذ كان هناك إستعداد غير محدود من الشباب الوطني للتضحية والإقدام على زج النفس في أصعب المواقف لجمع المعلومات المفيدة للثورة ولاسيّما لإستباق أيّ خطوة مدنية أو عسكرية تقدم عليها الحكومة لغرض الإستعداد لها ومواجهتها عند الإقدام عليها وبالأخص حركة القطعات العسكرية.

وإقتضى منّا زهاء سنتين لتنظيم هذا الجهاز بفروعه وملاكاته. وفي العام ١٩٦٩ صرتُ مسؤولاً رسمياً عنه كما أنيط بي الإشراف على قسمي الهندسة والمخابرة في الثورة لتعلقهما بجهاز الإستخبارات وبقيت كذلك حتى نكسة عام ١٩٧٥.

إدريس يزور بغداد ثم زيارتي لها

كان رئيس الجمهورية يلح على الوالد كثيراً بوجوب قيامنا إدريس وأنا بزيارة بغداد والمكوث بضعة أيام فيها. وظل يكرر ذلك في كل مناسبة وفي المرة الأخيرة كانت دعوته عن طريق أحمد كمال قادر. أخيراً وافق الوالد على ان يذهب كل بمفرده. وسبق إدريس فرحل الى بغداد في ١٦ من كانون الثاني ١٩٦٧ وبقي فيها أسبوعاً حل ضيفاً على رئيس الجمهورية وتبودلت خلاله الزيارات وقصده عبدالرحمن عارف والمسؤولون في زيارات أيضاً.

لم تتمخض الزيارة عن شيء سوى أنّ رئيس الجمهورية والحكومة إستهدفا منها الإيحاء للخارج وكأنّ كل شيء على ما يرام، وان العلاقات بين البارزاني والحكومة على أفضل حال واحسن ما يكون.

ولم ألمس أنا الآخر عند زيارتي أي تغيير في الموقف. لكنها كانت فرصة لي للحصول على أمر بإطلاق سراح الموقوفين الذين اتهموا في عام ١٩٦٥ بإغتيال بدرالدين علي محافظ أربيل. والفوز بإمتياز إصدار صحيفة التآخي اليومية. لا اذكر من كان يصحب إدريس أثناء زيارته إلاّ أنّي اذكر أنّه رافقني في زيارتي التي بدأت في ١٩ آذار ١٩٦٧ كل من السيدين نافذ جلال ومحسن دزَيي. وقد سَبَقَنا الى بغداد كل من حبيب محمد كريم وصالح يوسفي. وكنا نقوم خمستنا معاً بزيارة المسؤولين الحكوميين.

فضلاً عن كثير من الشخصيات البارزة العربية والكُردية. وكانت بالنسبة لي أول تجربة لمثل هذه المناسبات والمجالس. وممن تعرفت عليهم من الشخصيات الوطنية البارزة السيد كامل الچادرچي، كما قصدنا النجف لزيارة آية الله العظمى السيد محسن الحكيم وقد أهديتُهُ نيابة عن الوالد (قرآناً) مشفوعاً برسالة خاصة، ولقينا منه كل حفاوة وإحترام وقابل هديتنا بهدية مماثلة أي نسخة من القرآن مع رسالة جوابية. واتفق ان كان شخوصي الى بغداد في عيد الأضحى وكانت مناسبة للقيام بزيارات عديدة لشخصيات معروفة.

كانت زيارتي الأولى للچادرچي ولا أتذكر كثيراً عنها غير أن الذي تميّز في حديثه إلحاحه على أن أنقل رجاءً للوالد بالعفو عن زمرة إبراهيم أحمد وقبولهم قائلاً أنه ليس من مصلحة الشعب الكُردي أن يبقوا في خدمة السلطة. وقد نقلتُ رجاءه الى البارزاني.

ومن هنا قمنا بزيارة الشخصية العسكرية اللواء الركن (حسن علي صبري) المعروف بـ(حسن سكراب) وكيل رئيس أركان الجيش لأنّ رئيس الأركان كان وقتذاك يؤدي فريضة الحج، زرته مرغماً ولم أكن أودّ ذلك فقد بلغني عنه سلوك غير حسن إزاءنا وصدّت نفسي عن الزيارة إلاّ أنّ صالح يوسفي أقنعني مذكراً إياي بقول الوالد: "علينا ان نعمل على جعل الأعداء أصدقاء" ففعلت.

استقبلنا هذا الضابطُ ببرودٍ وناولنا فوراً برقية من قيادة قوة الميدان موجهة الى رئاسة الأركان. كان مضمونها بقدر ما تعيه ذاكرتي «حتى الآن يستوفي العصاة الضريبة من صيادي الأسماك بماذا تأمرون؟». قذفت بالبرقية فوق مكتبه، وقلتُ له: جئناك لنهنئك بالعيد ولم نأتِ لتواجهنا بمثل هذا. لدينا ضابط ارتباط في كركوك يمكن ان تتصل به قيادة الميدان هناك وليعملا على حل هذه الإشكالات فهذه مسألة جانبية تافهة لماذا تجعلونها بمثل هذا الحجم وتولونها هذه الأهمية العظيمة. فأجاب: "هاي... هاي دولة داخل دولة!! كلا سأرسل فوجاً الى الموقع لإلقاء القبض على كل من تسوِّل نفسه العبث بالقوانين" وهنا لم يعد أمامي غير الردّ عليه: قلت له "اني آسف لمجيئي إليك. إلاّ أنّ الذي زيَّن لي زيارتك هو الأستاذ صالح. وقد تبيّن لي أنك تجهل أمور الدنيا وهي في شأن وأنت في شأن. إنك لم ترسل فوجاً ولكنك أرسلت جيشاً ومعه مرتزقة بل ومعه جاش ٦٦ ولم تَخرجوا إلاّ برؤوس منكوسة.

ثم استطردت: الا فلتعلم جيداً أننا نمثل ثورة عظيمة وأنا لست ضابطاً من ضباطك جاءك يرجو ترفيعاً. ولستُ رئيس جاش جئتك لأقتسم وإياك مال السحت.

ثم نهضتُ وخرجت وتبعني الآخرون دون سلام أو كلمة وداع.

بلغ رئيس الجمهورية نبأ مقابلتنا هذه فطلب رؤيتنا واستفسر مني عن الحكاية فرويتها له. فعلَّقَ قائلا: "بسبب من هذا أرجو منك ان تطيل زيارتك أسبوعاً آخر كي يزول أثر ذلك في نفسك وتنسى ما قاله وتعود راضياً كما جئت".

وجنيتُ من زيارتي فائدة أخرى. فقد تبيّن لي أنّ هناك تكتلات عدة داخل النظام والحكومة. فمثلاً كانت هناك كتلة عسكرية يتزعمها عبدالرزاق النايف وإبراهيم الداود وسعدون غيدان وكمال عبود وكانت المؤشرات تدل على انهم ينوون القيام بإنقلاب إلاّ أنّهم لم يصرحوا لنا بشيء يدل على نواياهم.

في يوم ٤ نيسان ١٩٦٧ تركنا بغداد ووجهتنا كردستان ومررنا بطريقنا على قرية الشيخ ناظم العاصي القريبة من الحويجة فإستضافنا واحتفى بنا بشكل يجلُّ عن الوصف. شأنه شأن كل من لقيناه في بغداد.

مؤتمر عسكري في كاني سماق

أفادت الثورة من هذا الهدوء النسبي في ترصين قواعدها عسكرياً وحزبياً. واستغلت الفترة لفتح دورات تدريب عسكرية في المدفعية والهندسة والتعرف على الأسلحة وغير ذلك وفق دروس منهجية. ثم أرتؤي ان يُعقد إجتماعُ عسكري موسع يضم قيادات الألوية والأفواج وحضره البارزاني شخصياً، لتزويدهم بالوصايا والتوجيهات وللتعرف على أحوال قطاعاتهم واحتياجاتهم.

عقد هذا الإجتماع في السابع عشر من نيسان، في كاني سماق وهو موقع في أسفل گلاله. ألقى فيه البارزاني خطاباً عُدَّ في حينه دستوراً يُهتدى به[١٤].

١٤- راجع ترجمة لنص الخطاب في الملحق رقم (٢٨) قسم الملاحق.